Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأصبع فأوصلها إلى التسعين ، وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين سلم له منها عشرون ، وباقيها مسبوق إليه أو متداخل عليه ، وكتابه المسمى « بالتحرير » أصح كتاب صنّف في هذا العلم ، لأنه لم يتّكل على النقل دون النقد . . . . وليس من الباقين إلا من غيّر بعض القواعد ، وبدّل أكثر الأسماء والشواهد . . »[1] .

فأنت ترى معي ، ومن خلال هذه المقدمة للصفي الحلي ، أن باب الاستنباط كان مولوجاً ، وأن العلماء كانوا يرصدون ذلك كله ، متابعين له ، ذاكرين كل جديد منسوباً إلى صاحبه .

وقد كان هذا ديدن أصحاب (البديعيات) أيضاً ، وحلبتهم التي إليها يقصدون ، وفيها يتسابقون ، مع العلم أن فاتح بابها ـ الصفي الحلي ـ أحجم عن ذكر أي نوع جديد استنبطه في بديعيته خوفاً من ألسنة الحاسدين ، وأشار إلى ذلك بقوله ، في معرض حديثه عن مضمون بديعيته : « ثم أخليتها من الأنواع التي اخترعتها ، واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها ، لأسلم من شقاق جاهل حاسد أو عالم معاند ، فمن شاقق راجعته إلى النقل ، ومن وافق وكلته إلى شاهد العقل »[2] ، ومع ذلك فإن من تابعه في صنيعه لم يتقيد بما التزم به الصفي ، بل على النقيض من ذلك ، فقد عدّوا استخراج الأنواع مشاعاً لكل أحد ، وتجرأ القوي والضعيف على هذه الحلبة ، وبدأ باستنباط ما يظن معه أنه أضاف جديداً ، واقتنص طريداً شريداً ، إلى درجة أصبحت ترى معها بين أنواع البديع الغث والسمين وما لا يعقل أنه محسّن لفظي أو زخرف جمالي ، ولم يتورعوا كثيراً عن ذلك ، وزاحم البُغاث النسور الشواهين .

---

(١) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٢ ، وانظر مثل ذلك في مقدمة « حلية العقد البديع » للبكرجي ، و« طالع السعد الرفيع » لعبدالحميد قدس .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٣ .